# إسهامات علماء الجزائر في علم البديع بين منحنيات الإبداع ومنعطفات الأتّباع من خلال المقارنة بين ابن معطي والأخضري وأطفيَّش

# The contributions of the Algerian scientists in rhetorics through a comparative study between Ibn Moati, and Akhdhari Tfaich

د.لبصير نور الدين

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف– الجزائر

**الملخص:**

لقد شكّل الدرس اللغوي عموماً والدرس البلاغي خصوصاً عند علماء الجزائر– ولا زال– إشكالية شغلت الكثير من الدارسين المشارقة والمغاربة، على حد سواء، وقد زخرت المكتبة البلاغية الجزائرية بعلماء أجِلاء كان لهم الفضل في صياغة نصوصها تأليفاً، ونظماً، وشرحاً، وتلخيصاً... ممّا هيّأ أرضية بحث جيّدة لمؤلفاتهم؛ فأقبلوا على الدراسة والشرح والاهتمام بمدونات ابن معطي والأخضري وأطفيش، حيث طرق هؤلاء الأعلام لقضايا الدرس البلاغي، وخلفوا إسهاماً معرفياً كان له امتداد داخل الجزائر وخارجها.

ونروم من خلال هذه الورقة البحثية تقديم إسهامات علماء الجزائر في علم البديع بين منحنيات الإبداع ومنعطفات الاتباع، من خلال المقارنة بين ابن معطي والأخضري واطفيَّش، بغرض الوقوف على خصائصه البنائية وموضوعاته ومنهاجيته، للوصول إلى تشييد معمارية الفكر البلاغي الجزائري.

**الكلمات المفتاحية:** ابن معطي، الأخضري، اطفيَّش، علم البديع، الإبداع والاتباع.

**Abstract:**

The linguistic lesson in general and the rhetorical lesson in particular, especially among Algerian scholars is still a problem that preoccupied many scholars both of the Orient and Maghreb. The Algerian library has been filled with Algerian rhetorical scholars books, this provided a good research ground for their writings; they accepted to study and explain and pay attention to the blogs of Ibn muti, Al-Akhdar and Tfayesh. These scientists paved the way to the issues of rhetorical lesson, and left a cognitive contribution that had an extension inside and outside Algeria.

Through this research paper, we aim to present the contributions of Algerian scientists in rhetorics , through a comparison between Ibn Muti and Al-Akhdar watfayesh, in order to identify its structural characteristics, themes and methodology and to reach the construction of the architecture of Algerian rhetorical thought.

**Keywords:** Ibn muti, Al-Khadri tfayyesh, rhetorics, creativity and imitation.

## مقدمة:

تعدّ المنظومات العلمية ظاهرة بارزة في تاريخ التأليف في الجزائر، وقد أسهمت هذه الجهود في حفظ وتحصيل وإدراك العلوم لدى طلبة العلم والمعرفة عبر عصور عديدة، لكن هذه الجهود والإنجازات في دراسة الفنون البديعية قد تعرضت لهجمات شديدة اختزلتها بأنَّ هذه المنظومات أفسدت الدرس البلاغي.

إنَّ التراث جزء لا يتجزأ مِن هويتنا وثقافتنا، فإذا كانوا يتحدثون اليوم عمَّا يُسمَّى اليوم بالصناعات الثقافية، فإنَّه من الضروريّ أن نمحور نحن السؤال عن الصناعات التراثية؛ لذلك نريد من مساءلتنا للدرس البلاغي الجزائري على أساس من الحوار العادل؛ إذ تتحول المسألة إلى محاورة لإبراز خصائصه ورواسبه الثقافية ذات أبعاد تاريخية، ومعرفية، وفلسفية، والوقوف على الإرث العلمي الذي ورثناها عن علمائنا؛ حتى لا يتعرض للإهمال والضياع والنسيان، إذ التراثُ عمومًا غنيٌّ بتقاليد صنعتِه، ومن هذا المنطلق نسعى إلى مساءلة هذه الأعمال في خصائصها وعلاقاتها بالفضاء الثقافي والحضاري التي نشأت فيه، وكيفية تمثيله للذات الجزائرية، وهويته، ومكوّناته؛ بغية استخلاص الفكر البلاغي الجزائري، حتى يسجل حضوره في الحركة العلمية عالمياً متجاوزاً الحدود الجغرافية.

ثمّ إنَّنا لا نريد حصر التراث البلاغي –البديع– زمانيا في الفترة الماضية، وإنّما نريد أن يمتزج التراث مع ذاتية الباحث عنه والملتمس لأسس بنائه، وذلك

يساعد على الفهم المعاصر المتوافق وكينونتنا الراهنة، هذا الذي يعطي للتراث أبعاده؛ وذلك بما يتحدد على أساسه من رواسب ثقافية محمولة في وعاء لغوي.

لا شك أنَّ علماء الجزائر قدّموا في الدراسات البلاغية جهوداً لافتةً في رصد الفنون البديعية عبر مصنفات متعددة، كما سعوا لبيان قيمتها الجمالية، لذلك من الضروري الوقوف على هذا الإرث العلمي الذي ورثناها عن علمائنا، حتى لا يتعرض للإهمال والضياع والنسيان.

**أهمية هذه الدراسة:** إنّ أهمية هذه الورقة البحثية قيد الدراسة تكمن في :

– البرهنة على فاعلية البديع في ممارسة الفكر البلاغي عند علماء الجزائر، وقدرته على استشراف أبعاد جديدة.

– إسهامات علماء الجزائر كان حاضراً بشكل قوي في تأصيل الخطاب البلاغي العربي وتثبيت أصوله وإرساء قواعده.

– كما تسعى هذه الورقة البحثية لتسليط الضوء على حقيقة إسهامات علماء الجزائر في بناء صرح الخطاب البلاغي ، والخطاب البديعي على وجه الخصوص.

– توجيه الدراسات للعناية بألوان البديع في المصنفات الجزائرية،وتوجيه الهمم إلى استخراجها، لقلّة الدراسات حول أعلام الجزائر في فن البديع، والنظر في

جهودهم من خلال مدوناتهم، فما عدا الأخضري –مع أنَّ له كتاباً واحداً فقط في هذا الفن – لم يحظ ابن معطي وأطفيش – بحسب علمي– بالدراسة.

– التعريف بالمدونة اللغوية الجزائرية، وتحديد أهم القضايا البلاغية المعالجة فيها.

**أهداف هذه الدراسة:** تسعى هذه الورقة البحثية إلى:

– رصد التفكير البديعي عند علماء الجزائر بين منحنيات الإبداع ومنعطفات الاتباع، وكيفية توظيفه بين قيمته الشكلية التحسينية ووظيفته الدلالية النصية.

– كما تهدف هذه الدراسة للكشف عن مكانة هذه المنظومات بين منظومات البديع.

– تسعى هذه الدراسة لصياغة مشروع يهدف إلى تبئير المكون البديعي، الذي لا يقل أهمية عن المكون البياني، ومكون المعاني عند علماء الجزائر.

– تقدير الجهود المضنية التي بذلها علماء الجزائر في رصد الفنون البديعية.

– كما تهدف هذه الدراسة لرفع الظلم الذي لحق بعلماء المغاربة عموماً، وعلماء الجزائر خصوصاً.

– إعادة الاعتبار لعلم البديع في المدارس البلاغية والنقدية، حتى غدا الاتصاف به سبة وشتيمة، واسترجاعه سماجةً وابتذالاً؛ كلٌّ ذلك ساهم بشكل أو بآخر في إهماله وتهميشه وعدم العناية ببحثه.

– إعادة النظر في توظيف علم البديع في البلاغة، وإخراجه من دائرة التحسين الجمالي الشكلي إلى أفق الوظيفة الدلالية النصية.

– الوقوف على حقيقة التهم التي أُلصقت بالمغاربة عموماً، وعلماء الجزائر، خصوصاً ضعفهم في صناعة التأليف.

**إشكالية الدراسة:**

لقد شاع البديع كمذهب فني يجمع بين صنوف من الصنعة اللفظية التي تكسب اللذة الصوتية كالجناس والمقابلات، وصنوف من الصنعة المعنوية التي تكسب لذة التفكير والتسلية وقطع الوقت كالإبهام واللغز والتورية والإشارة ...الخ، فهل تهدف المسائل التي وظّفها ابن معطي والأخضري وأطفيش إلى شيء من ألوان البيان واللذة الرفيعة أم هي مجرد لهو ولعب، يخرج إلى العبث والتسلية وقطع الوقت في أشياء تشغل ولا تفيد؟

كما تهدف هذه الدراسة للكشف إلى أي مدى كان تأثير رحلات ابن معطي والأخضري وأطفيش في إثراء الدرس اللغوي العربي؟ حيث لم يحصروا أنفسهم وعلمهم في الأراضي الجزائرية؛ بل سافروا إلى المشرق، فهل كان لتلك الرحلات أثر في تقليدهم المشارقة؟

وقبل ذلك تحاول هذه الورقة البحثية الإجابة عن إشكالية مفادها: هل كان علماء الجزائر في تعاطيهم مع علم البديع مقلدين أو مجددين؟ وهل المصطلح البلاغي الذي وظّفوه يتسم بالجدة؟ وهل جاؤوا بالشيء الجديد خاصة مع تطور علم البديع؟ ثمّ هل يمكن أن نبرهن أو نفنِّد ما ذهب إليه ابن خلدون من أنّ المغاربة عموماً أميل إلى البديع، لسهولته على حساب البيان والمعاني.؟

هل البديع الذي نتوخى دراسته، واستخراجه من الفكر البلاغي لعلماء الجزائر كان مجرد محسن لفظي أو معنوي يُضاف إلى جودة الكلام، أو كما استقر في أذهان بعض الباحثين بأنّه يأتي في مرتبة تالية لعلمي المعاني والبيان؟ وهل هو ذيل للبلاغة وتابع من توابعها؟ ثمّ إلى أي مدى يمكن اتهام المغاربة بأنهم عيال على المشارقة في البحوث البلاغية؟

كما تحاول هذه الدراسة والقراءة المعرفية الوقوف على إشكالية محورية مفادها: إلى أي مدى كان الإقبال على منظومتهم خاصة في علم البديع مقارنة بإقبالهم على مصنفات أخرى ذات الصلة؟ كما تحاول الوقوف إلى أي مدى كان تأثيرهم في الدرس البلاغي؟ ولعل أهّم التساؤلات الفرعية من تلك الإشكالية؛

هذه الأسئلة والإشكاليات تلخص جانباً من جوانب التأليف في الدرس البلاغي عند علماء الجزائر؛ ثمّ ما مدى صلاحية الإشكاليات التي طرحتها، ومحاولة الإجابة عنها بما يلقى المزيد من الضوء على مدى إسهام علماء الجزائر في الدراسات البلاغية.

**منهج الدراسة:**

اتبعت الدراسة منهجاً وصفياً تحليلياً لأنّه من المناهج التي تناسب هذه الدراسة، وهو الذي يساعدنا على تحديد واقع البديع الموظف في المدونات والمصنفات الجزائرية، ومن ثمّ العمل على جمع هذا البديع، وتحليله، ممَّا قد يساهم في تشخيصه والعمل على مقاربته بين منحنيات الإبداع ومنعطفات الاتباع، وقد استخدم الباحث أسلوبي الوصف الكيفي والكمي معاً، فالتعبير الكيفي يصف لنا مدى حضور البديع في المدونات الجزائرية، وكيفية إسهامه في الدراسات اللغوية عموماً والدراسات البلاغية خصوصاً، أما التعبير الكمي فيعطينا وصفاً رقمياً يوضح لنا مقدار حضور وأنواع وأصناف البديع، ومن أجل تحقيق هذا الهدف تَبَنت الدراسة منهجاً استقرائياً، تتبعت على ضوئه صور البديع في المدونات محل الدراسة، كما تبنت منهجاً مقارناً؛ سعت من خلاله المقارنة بين شخصيات ثلاث كانت لها إسهامات في فن البديع، والهدف المرجوُّ الوصول إلى إبراز منحنيات التجديد والابتكار، وكذا منعطفات التقليد والاجترار.

## 1- إسهامات علماء الجزائر في الدراسات البلاغية:

تحاول هذه القراءة المعرفية الخوض في التراث العلمي الجزائري لتؤرخ أعمالهم في مرحلة مفصلية من تاريخ الجزائر، ومحاولة استكشاف هذا التراث من جهة، ومن جهة أخرى السعي لربط الجسور المعرفية بين الماضي وربطها

بالحاضر؛ إذ إنّ مسؤولية كلّ أمة كبيرة للحفاظ على لغاتها، وتراثها، وقيمها، وأعلامها.

سنركز في هذه الورقة البحثية على أبرز خطابات الثقافة العربية، المتمثل في الخطاب البلاغي، وخاصة علم البديع الذي تعرَّض لغبن كبير مقارنة بعلمي البيان والمعاني؛ والذي يقول فيه ابن خلدون: "وإنَّما اختص بأهل المغرب من أصنافه علم البديع خاصة، وجعلوه من جملة علوم الأدب الشعرية، وفرعوا له ألقابا وعدَّدوا أبواباً ونوعوا أنواعاً، وزعموا أنهم أحصوها من لسان العرب، وإنما حملهم على ذلك الولوع بتزيين الألفاظ، وأنَّ علم البديع سهل المأخذ، وصعبت عليهم مآخذ البلاغة والبيان، لدقة أنظارها وغموض معانيهما فتجافوا عنهما."[1]، وقد ترددت هذه التهمة عند القدماء والمحدثين على السواء;ويقول أيضا : "وبالجملة فالمشارقة على هذا الفن أقوم من المغاربة، وسببه – والله أعلم– أنه كمالي في العلوم اللسانية، والصنائع الكمالية توجد في وفور العمران، والمشرق أوفر عمرانا من المغرب كما ذكرناه"[2].

هذا لفظ ابن خلدون في المقدمة، وهو كما ترى يزعم بأنّ أهل المغرب تجافوا عن البلاغة والبيان، لدقة أنظارها، وغموض معانيهما، وتفنيداً لما قاله ابن خلدون، فقد كانت لعلماء الجزائر مشاركة في إثراء الحركة العلمية عموماً، إذ

[1] ابن خلدون، المقدمة، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 1416هـ/1996م، ص552.

[2] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

كانت لهم إسهامات في الدراسات البلاغية، فأسهموا كغيرهم من المشارقة والمغاربة في إثراء المكتبة، فازدهرت على أيديهم عدّة علوم لغويّة، وبرز فيها عدد لا يُحصى من العلماء، ولعل من أبرز علماء الجزائر الذين أسهموا في ميدان الدّراسات البلاغية:

– إبراهيم بن فائد بن موسى الزواوي القسنطيني (ت857 هـ): فقيه مالكي جزائري، ولد في جبل جرجرة، وتعلم في بجاية وتونس، واستقر في قسنطينة. من مؤلفاته في البلاغة: كتاب "تلخيص المفتاح"، وسماه:" تلخيص التلخيص".[1]

– ابن مرزوق الحفيد (766– 842هـ)، هو محمد بن أحمد بن محمد العجيسي التلمساني، أبو عبد الله، المعروف بالحفيد، أو حفيد ابن مرزوق: عالم بالفقه والأصول والحديث والأدب، ولد ومات في تلمسان، ورحل إلى الحجاز والمشرق، من مؤلفاته في البلاغة: "أرجوزة نظم بها تلخيص المفتاح في المعاني والبيان"[2].

[1] ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002م، 57/1، وعمر بن رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت، 73/1.

[2] الأعلام للزركلي، 331/5.

– طاهر بن محمد صالح بن أحمد السمعوني الوغليسي، جزائري الأصل دمشقي المولد والدار، ولد بدمشق سنة 1264 صنف من فنون البلاغة "بديع التلخيص وتلخيص البديع".[1]

– أبو اليسر إبراهيم ابن محمد موهوب السمعوني الجزائري، ثم الدمشقي، من أكابر العلماء باللغة والأدب في عصره، من مؤلفاته في البلاغة: "الرسالة العذراء في موازين البلاغة وأدوات الكتابة".

– محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني (ت 909 هـ): علاّمة في المنقول والمعقول، كثيرُ التأليف، كان مشهورا بالشرق والغرب. من شيوخه الإمام العلامة عبد الرحمن الثّعالبي (ت 875 هـ)، ومن مؤلفاته في البلاغة، كتاب: "مختصر تلخيص المفتاح وشرحه"[2].

– محمد الثّغيري أو الثّغري (كان حيا قبل 1115هـ): لغوي وفقيه مالكي، من آثاره: "موضح السر المكمون على الجوهر المكنون في الثلاثة فنون"، فرغ منها سنة 1115 هـ.[3]

– الحسين بن محمد السعيد الورتيلاني (ت1193هـ): مؤرخ، من فقهاء المالكية، له اشتغال بالتصوف، ألَّف "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"

---

[1] المرجع نفسه، 222/3.

[2] المرجع نفسه، 331/5.

[3] ينظر: الزركلي، الأعلام، 144/9، ورضا كحالة، معجم المؤلفين، 606/4.

ويعرف بـ"الرحلة الورتيلانية"، ومن مصنفاته في البلاغة: "الجواهر المنثورات في علم تحقيق الاستعارات"، وهو شرح لكتاب "الاستعارات" للسمرقندي، ثم اختصر هذا الشرح بطلب من بعضهم، لكنه لم يسمّه[1].

– محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائري، ابن العنّابي (توفي بعد 1285هـ): عالم بالحديث. نسبته إلى مدينة عنابة بالجزائر، ولي الإفتاء في الإسكندرية ومات بها، من تآليفه: كتاب سماه "التحقيقات الإعجازية لشرح نظم العلاقات المجازية"[2].

– محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الدِّيسي (ت 1339هـ): الفقيه اللغوي البياني. أصله من بلدة الدِّيس، قرب مدينة بوسعادة، له مؤلفات كثيرة، منها: بديعية سماها: "تحفة الإخوان"، وهي أرجوزة من ثمانين بيتا، مدح بها شيخه محمد بن أبي القاسم الهاملي، مؤسس زاوية الهامل، وضمَّن كل بيت منها نوعا أو أكثر من المحسنات البديعية. قال في مقدمتها:

أحمده من علم البديعا ** وأشكر المقتدر البديعا

ثم قال:

وهذه من البديع طرفهْ ** حريّة بأن تسمّى التُّحفهْ

ضمّنتها مديح قطب الأمّهْ ** ومن غدا للمسلمين رحمهْ

[1] ينظر: الزركلي، الأعلام، 257/2.

[2] المرجع نفسه، 89/7.

محمد بن أبي القاسم الذي ** عمّ البلادَ طيبُ عَرفه الشّذِي

ثم شرح هذه الأرجوزة شرحاً وسطاً، وسماه: "فرائد الإحسان في شرح تحفة الإخوان".[1]

– الحاج الداوودي (000 – 1271 هـ = 000 – 1854م): الحاج أبو محمد فاضل الداوودي التلمساني، متصوف من أهل تلمسان. ولي القضاء بها، ثمّ هاجر إلى فاس، من مؤلفته في البلاغة: "حاشية على السعد"[2].

لاشكَّ أنَّ علماء الجزائر خلفوا مؤلّفات كثيرة في علوم شتى أثرت في الحركة العلمية –ليس هذا مجال حصرها في هذه الدراسة– وقد تعاقبت زُمر العلماء حول العناية بفن البلاغة، وكشف مكنونه والوقوف عند سحره، واتخذوا من أجل ذلك عدة مناهج وسبل، محاولين الإحاطة به وإظهار مكانته بين بقية العلوم الأخرى؛ ولا تزال الدراسات حول البلاغة متواصلة بين جمع وترتيب وشرح وتلخيص ونظم... غير أنّ تلك الجهود لم تنل بعدُ ما تستحقّه من تعريف وتقييم، ومن تحقيق ونشر إبراز هذه الجهود، وبيان قيمتها، وترجمة أصحابها؛ وذلك حتّى يعرف طلبتنا أن أبناء هذا الوطن لم يتخلّفوا عن غيرهم من أبناء الأقطار العربيّة الأخرى في خدمة لغتهم، ولم يقصّروا في خوض هذا المجال العلميّ الصّعب،

[1] حقق هذا الشرح الطالب محمد الحسن خنفر، ضمن رسالة ماجستير بجامعة الجزائر سنة 2011م.

[2] الزركلي، الأعلام، 3 / 221.

لكنَّ كثيرًا من تلك المؤلَّفات المفيدة ما يزال في حكم الضّائع من التراث الثقافيّ الجزائريّ.

من خلال هذا العرض يتبين لنا أنّ علماء الجزائر قد أسهموا في المعاني، والبيان، والبديع، كلّ ذلك يدعونا إلى إعادة النظر في ما قاله ابن خلدون من أنّ المغاربة أميل إلى البديع لسهولته على حساب البيان والمعاني.

إذ نحاول في هذه الورقة البحثية أن نسائل من زاويا علمية ومنهجية وموضوعية بعض أعلام الجزائر الذين كانت لهم إسهامات في البديع، لذلك تنطلق هذه الورقة العلمية لرصد إسهامات كل من :

**1-1- العلاّمة يحيى بن معطي الزّواوي (ت 628هـ)[1]:** كما وصفه الإمام الذهبي من أهل منطقة زواوة التابعة لمدينة بجاية الناصرية (الشرق الجزائري)، وصاحب "الدُّرة الألفية" في علم العربية؛ حيث نعته الذّهبي فقال: "صاحب أوّل ألفيّة في النحو والصرف؛ حيث لم يهتم إلا بالبديع، بخلاف الأخضري الذي كتب في الفنون البلاغية الثلاث، وأطفيش الذي ألَّف كتبا بعنوان "بيان البيان"، "شرح الاستعارات" و"تخليص العاني من ربقة جهل المعاني"، وجلُّ

[1] ينظر ترجمته في: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط9، 1413هـ، 324/22. وابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسرية، بيروت، ط2، 1979م، 129/5، وابن كثير، البداية والنهاية، تح: علي شيري، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، 129/13.

من ترجم له أو ذكر ألفيته اعترف بأنّ له قدرة فائقة في النظم، ومع ذلك لم تشتهر منظومته في علم البديع، ممّا جعلنا نمحور السؤال التالي: لماذا ارتبط ابن معطي بالألفية بخلاف البديع في علم البديع ؟ ولعل من الأسباب التي أدَّت لارتباط ابن معطي بالألفية دون البديع في علم البديع:

1- جلُّ الدراسات توجهت لشرح ألفية ابن معطي؛ إذ تُعدّ ألفيته "الدرّة الألفية" أوّل مؤلّف في النّحو صيغ بقالب شعري، فهو رائد النظم وشيخ النحو، إذ يعدّ ابن معطي الرائد في استعمال الألفية في أشعاره، فقد أطلق على ألفيته هذه التسمية حيث قال: نحوية أشعارهم. والألفية في النّحو، هي منظومة جمعت علم النّحو والصّرف من بحرين هما السّريع والرّجز، وقد سمّاها بالدرّة الألفية؛ لذلك أقبل عليها العلماء بالشرح والاختصار والتدريس فاشتهرت.

وقد أشار ابن مالك إلى ذلك في مقدمة ألفيته حيث قال:

واستعين الله في ألفية ** مقاصد النحو بها محوية
تقرب الأقصى بلفظ موجز ** تبسط البذل بوعد منجز
وتقتضي رضى بغير سخط ** فائقة ألفية ابن معطي
وهو بسبق حائز تفضيلا ** مستوجب ثنائي الجميلا

لقد نالت الألفية حظاً وافراً من الدراسة؛ لذلك كتب لها الشهرة، بخلاف منظومته في علم البديع التي لم تنل حظَّها من الدراسة على الأقل حتى أيامنا هذه، ولعل الله يقيِّض لها من يعطيها حقها من الدراسة.

2- كثرت شروح الدرة؛ فقد أهتم بها العلماء، والمختصون في اللغة والنحو، فكثرت شروحهم عليها واختصاراتهم والنظم على شاكلتها، ومن شروحها:

- شرح الدرة الألفية، تأليف النيلي، تحقيق الدكتور محمد بن سالم العميري.

- شرح ألفية ابن معطٍ المسمى "حرز الفوائد وقيد الأوابد"، محمد بن يعقوب المعروف بابن النحوية[1].

- شرح ألفية ابن معط لعبد العزيز بن جمعة الموصلي[2].

- شرح ألفية ابن معط لأبي جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني.

- الغرة المخفية في شرح الدرة الألفية لابن الخباز.[3]

- شرح ألفية ابن معطي، لابن القوّاس، تحقيق الدّكتور عليّ موسى.

---

[1] المتوفى سنة (718هـ)، من أوله إلى نهاية باب التوابع، تحقيق ودراسة إعداد: عبد الله بن فهيد بن عبد الله البقمي، المشرف: سليمان بن إبراهيم العايد، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى بمكة الكرمة، 1421هـ الرسالة تقع في مجلدين.

[2] شرح ألفية ابن معطي لعبد العزيز بن جمعة التحقيق والدراسة الدكتور علي موسى الشوملي صدر حديثا عن دار البصائر، ضمن إصدارات تظاهرة الجزائر عاصمة الثقافة العربية. كما طبع بمكتبة الخريج، ط1، 1405هـ/1985م.

[3] الوصف المادي: 128 ق، 23 س؛ 24.5 × 16سم، تاريخ النسخ: 685 خطها نسخ ق مصدر المخطوطة: موقع جامعة الملك سعود.

– الجمال محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سحمان، شارح ألفية ابن معط[1].

– محمد بن مزيد بن محمود بن منصور بن راشد، أبو بكر الخزاعي المعروف بابن أبي الأزهر النحوي"[2].

– أحمد بن محمد بن عبد الولي بن جبارة المقدسي المقرئ، الفقيه الأصولي النحوي، شهاب الدين، أبو العباس ابن الشيخ تقي الدين وجاء في ذيل طبقات الحنابلة، قد وضع شرحاً لألفية ابن معطي.[3]

– شَرْحُ أَلْفِيَّةِ ابْنِ مُعْطِي، تأليف سَعْد اللَّهِ بْنُ عِيسَى بْنِ أَمِيرِ خَانْ الشَّهِيرُ بِسَعْدِي جَلَبِي مُفْتِي الدِّيَارِ الرُّومِيَّةِ[4].

– شرح بدر الدين محمد بن يعقوب الدمشقي المتوفى سنة 718هـ.

– شرح شهاب الدين احمد بن محمد القدسي الحنبلى المتوفى سنة 728 هـ .

– "الدرر في شرح ألفية ابن معطي"، شرح عبد لمطلب بن المرتضى الجزرى المتوفى سنة 735 هـ.

---

[1] جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت، 237/2.

[2] المرجع السابق، 183/1.

[3] المرجع نفسه، 337/1.

[4] محمد أمين بن عمر بن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ/1992م، 57/1.

– "الدرة على ألفية ابن معطى"، شرح الشيخ زين الدين عمر بن مظفر ابن الوردي ت سنة 749 هـ.[1]

– أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود البابرتي علامة المتأخرين، وخاتمة المحققين، برع وساد، ودرس وأفاد، وصنف "شرح الهداية"، وشرح المشارق، وشرح المنار، وشرح البز دوي،وشرح مختصر ابن الحاجب، وشرح تلخيص المعاني والبيان، وشرح ألفية ابن معط.[2]

– يوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن ابن مسعود بن علي بن عبد الله الحموي، الشافعي، ويعرف بابن خطيب المنصورية (ت 809 هـ).

– جمال الدين أبو بكر البكري الشريشي، كان من أوعية العلم صنف شرحاً مليحاً على ألفية ابن معطي.[3]

وغيرها من الشروح التي لا تعد ولا تحصى.

3– ولعل من الأسباب أيضا أنّ جلَّ الذين ترجموا حياته كابن العماد الحنبلي وياقوت الحموي وهو معاصر له، وابن خلكان، والسيوطي، وابن كثير

[1] جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة، 226/1.

[2] السيوطي، بغية الوعاة، 229/1، وخير الدين الزركلي، الأعلام، 42/7.

[3] صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، دط، 1420هـ– 2000م، 205/1.

والذهبي لم يشروا إلى كتابه البديع في علم البديع في البلاغة؛ بل اعتبروه كتاباً في الشعر.

4- ولعل من الأسباب أنَّ بعض الباحثين كانوا يعتقدون أنّه كتاب في العروض؛ لقول ابن معطي:

يقول ابن معطي قلت لا متعاطيا ** مقالة من يرجو الرضى والتعاطيا

بدأت بحمد الله نظمي مسلمـــا ** على أحمد الهـــادي إلى الله داعيا

وبعد فإني ذاكر لمن ارتضـــي ** بنظمي العروض المجتلي والقوافيا

أتيت بأبيات البديع شواهدا ** أضم إليـــــها في نظمي الأساميا

فلما ذكر في البيت الثالث العروض والقوافي ظنّ كثير من العلماء أنّه كتاب في العروض والقوافي، وليس كتاب بلاغة، ولذلك اشتهر باسم البديع في صناعة الشعر[1]، وقد جاء في آثار ابن باديس: عروض ابن معطي وبديعيته.[2]

5- وحاول كثير من الباحثين تحديد أول من تكلم عن منظومة في البديع من المغاربة، فذكر بعضهم ابن جابر، وذهب آخرون إلى صفي الدين الحلي، وذهب بعضهم الأخر إلى أنّ أول من نظم منظومة في البديع هو أبو عثمان

[1] عادل نويهض، مُعجَمُ أعلام الجزائِر مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1400هـ/1980م، ص 155.

[2] عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، آثَارُ ابْن بَادِيسَ، تح: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط1، 1388هـ - 1968م، 4/ 193.

الأربيلي، ونسى هؤلاء أحقية وأسبقية ابن معطي على هؤلاء جميعا؛ إذ يقول محمد مصطفى أبو شوارب: "وقد فات على هؤلاء جميعا...أن يحددوا مكان منظومة يحي بن معطي – من تاريخ المنظومات البديعية، على الرّغم من أن العصر الذي عاش فيه ابن معطي امتاز بمرحلة جديدة في دراسة علم البديع، هي مرحلة النظم؛ نظم البديع في قصائد، ومدائح نبوية عرفت فيما بعد بالبديعيات"[1].

6- ولعلَّ من الأسباب أيضا أنّ كثيراً من الباحثين الذين أرَّخوا لتطور البديع لم يشيروا في مصنفاتهم إلى ابن معطي.

7- وربما من الأسباب أنَّ معظم الذين تحدثوا عن القرن السابع الهجري ذكروا شخصيتين بارزتين هما السكاكي وضياء الدين بن الأثير، فجلُّ الذين أرخوا للبديع لم يذكروا منظومة ابن معطي، وقد تتبعت عصر التأليف البديعي، متتبعا لها عبر عصورها المختلفة، وصولاً إلى القرن السابع الهجري، وهو العصر الذي توفي فيه ابن معطي؛ حيث ذكروا ثعلب 291هـ، وابن المعتز 296هـ، وقدامة بن جعفر 203 هـ، وعبد العزيز الجرجاني366هـ، وأبا هلال العسكري397هـ، وابن سنان الخفاجي، وعبد القاهر الجرجاني، ولم يذكر جلُّ من أرَّخوا لتأريخ البديع حتى القرن السابع الهجري كتاب البديع لابن معطي.

[1] – ابن معطي، البديع في علم البديع، تح: محمد مصطفى أبو شوارب، دار الوفاء، دط، 2003م، ص32.

**2-1 -عبد الرحمن الأخضري (ت 983 هـ)**[1]: من بَنَطْيُوس، قرب بسكرة. عالم مشارك في أنواع من العلوم.

من آثاره: "الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون"، ولعل هذه التسمية هي الأنسب للمنظومة في ظلّ الاختلاف الحاصل بين الباحثين، فمنهم من يطلق عليها "الجوهر المكنون في ثلاثة فنون" لأن الخضري قال في منظومته:

سميته بالجوهر المكنون ** في صدف الثلاثة فنون[2]

والفنون الثلاثة هي البيان والبديع والمعاني، ولا شك أنّ الناظم لنظمه مقدم على غيره؛ لأنّ صاحب البيت أدرى بما فيه، فيكون الأخضري قد بيّن تسميته وطريقته فهو أدرى وأخبر كما قال أهل العلم[3].

---

[1] ينظر: الزركلي، الأعلام، 331/3، وعمر كحالة، معجم المؤلفين، 60/1.

[2] عبد الرحمان بن صغير الأخضري، الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، تحقيق: محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمي، ص22.

[3] ينظر: محمد بن عبد الهادي السندي المدني، حاشية السندى على صحيح البخارى: دار الفكر، بيروت،326/1، وعبد الحي اللكنوي، الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، دار الكتب العلمية، ص9، وعبد الرؤوف المناوي، اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، تحقيق: المرتضي الزين أحمد، مكتبة الرشد، الرياض، 1999م، 226/1، وعلي القاري، شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، تحقيق: عبد الفتح أبو غدة، حققه وعلق عليه: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم، بيروت، ص151، وابن حجر العسقلاني، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير، الرياض، ط1، 1422هـ، ص10.

وقد حظيت المنظومة بعناية كبيرة، وطارت شهرتها في الآفاق، وتناوله العلماء بالشرح والتلخيص، منها:

- "موضح السر المكنون على الجوهر المكتزن" للثغري[1].
- "حلية اللب المصون بشرح الجوهر المكنون في الثلاثة فنون (المعاني والبيان والبديع)، لشهاب الدين أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري[2].
- "الفلك المشحون من نفائس الجوهر المكنون"، تأليف العَّلامة المحدث المشارك محمَّد الأمين الهرري الشَّافعي.
- "شرح الجوهر المكنون في الثلاثة فنون"، للشيخ العلامة أحمد بن محمد العباسي السملالي ( ت 983هـ)[3].
- "جديد الثلاثة الفنون في شرح الجوهر المكنون"، لعلال نوريم.[4]
- "يواقيت المشتري من جوهر الأخضري"، لمحمد بن العربي الهلالي اليعقوبي.

---

[1] رسالة ماجستير، تحقيق ودراسة الطالب حاج زعفان، إشراف الأستاذ الدكتور مختار حبار، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2010/2009م.

[2] حققه إلياس قبلان، دار الكتب العلمية – بيروت، 2015م، وطبع أيضا بتحقيق محمد سعيد الفجيجي، وأبي يعلى البيضاوي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء– المغرب، ودار الضياء الكويت.

[3] حققه الدكتور اليزيدي الراضي.

[4] الجزء الثالث علم البديع ، ط.الأولى 1429هـ –2008م ، دار الكتاب العربي الدار البيضاء المغرب.

- "قرة العيون على الجوهر المكنون"، وهو مخطوط في مكتبة الملك عبد العزيز، رقم: 2328.
- "شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون".[1]

**1-3- محمّد بن يوسف أطفيش[2]:** صاحب التآليف اللغوية الكثيرة، من علماء الإباضية، (1243-1332هـ).[3]

## 2- منحنيات الإبداع ومنعطفات الاتباع:

### 2-1- الخطاب المقدماتي في مدوناتهم:

إنَّ تتبع الخطاب المقدماتي في مقدمة المدونات البلاغية الجزائرية محل الدراسة يمثل امتدادا للثقافة العربية والإسلامية، ومن شأنه أن يكشف لنا وعي علماء الجزائر بأهمية مكونات هذا الخطاب المقدماتي، والتأسيس لوظيفته

[1] رسالة دكتوراه دراسة وتحقيق: الشيخ محمد بن عبد العزيز نصيف.

[2] اطفيَّش: لفظ بربري، مركب تركيباً مزجياً من ثلاث كلمات، الأولى (أطف) بفتح الهمزة وتشديد الطاء المفتوحة وسكون الفاء، ومعناها ببعض لغات البربر (امسك)، والثانية (أيا) بفتح الهمزة وتشديد الياء، ومعناها (أقبل - تعال)، والثالثة (أش) ومعناها (كل) فمجموع الجملة (أطف أيا أش) وترجمتها (أمسك، تعال، كل) يقال أن أحد أسلاف صاحب الترجمة لقب به لمناداته صديقا له يدعوه إلى الطعام. ينظر: الزركلي، الأعلام، 156/7.

[3] ينظر ترجمته في: الأعلام للزركلي، 156/7، ومعجم المؤلفين، عمر كحالة، 133/12، وأبو القاسم محمد حفناوي، تعريف الخلف برحال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، 588/2. وشمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دط، دت، 169/1، وعادل نويهض، مُعجَمُ أعلام الجزائِر - مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، ص166.

التوجيهية بالنسبة إلى عملية قراءة المنظومة، كما يكشف لنا عن مؤشرات الإبداع فيه.

ولمَّا كان غالب ما يكتبه المؤلف في مقدمة كتابه يحاول من خلاله أن يكشف عن مقصده من التأليف؛ لأنّه من شأنه أن يضعنا أمام إستراتيجية التأليف في حضارة الإسلام، وتبيّن منحنيات الإبداع فيه.

إنّ الخطاب المقدماتي الذي يكتبه الكاتب هو في الوقت نفسه اللحظات التي يكشف ويفصح فيها عن مكنونات النفس وفق تصورات منهجية؛ لذلك تبدو لي أنّ مسألة المنهج كانت حاضرة في تصوراتهم، منذ المراحل الأولى للتأليف في الثقافة العربية والإسلامية.

إنَّ الخطاب المقدماتي في مدوناتهم كان يروم وضعَ قواعد وضوابط وقوانين الكتابة وطرائق صناعة المؤلفات وتقديمها للقراء، ممّا يدفعنا إلى الاعتقاد بأنهم كانوا على دراية أنّه قبل شروعهم في عرض موضوعات ومضامين كتبهم يتوجب عليهم إنتاج مقدمة ما، يمكن أن نسميها اليوم النص الموازي، يتمّ من خلاله تهيئة القارئ المفترض؛ وذلك من خلال توافق القدامى على تسميته "الرؤوس الثمانية"، وهي العناصر التي ظلت تحكم نسق المقدمات في الثقافة العربية والإسلامية.

**2-2- إدراكهم لأهمية المقدمة:**

وقد تنبه العلماء القدماء إلى أهمية المقدمات، ويُستشف من الخطاب المقدماتي الذي تضمنه مصنفاتهم أنّهم قد ميَّزوا بين مستويين من الخطاب:

المستوى الأول أساس، وهو المتن الذي يروم المؤلِّف إبلاغه للقراء المستهدفين، والمستوى الثاني نص افتتاحي ممهِّد ومقدِّم له بين يدي القارئ، ولهذا لا يخلو كتاب من كتب التراث من نصين، الأول متن الكتاب، ثمّ يتبعه بنص موازٍ هو نص المقدمة، فإذا كان خطاب المقدمة جيداً استحق أن يطلق عليه "براعة المقدمات."

لقد اعتنوا **بحسن الابتداء**؛ لذلك يبدو أنّ الاهتمام بالابتداءات كان حاضراً في كتب التراث، فقد وجدنا وعياً وإدراكاً بأهمية هذا الابتداء؛ إذ إنّه أول ما يقرع الأسماع، وإذا تقبلتها كان ذلك أدعى لتقبل النص الأصلي، ثمّ إنّ ابن الأثير خص باباً في بيان أركان الكتابة سماه "في المبادئ والافتتاحات".[1]

وهذا ما نلمسه عند ضياء الدين بن الأثير الذي يقول: "وإنّما خصت الابتداءات بالاختيار لأنّها أول ما يطرق السمع من الكلام، فإذا كان الابتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده توفرَّت الدواعي على استماعه، ويكفيك من هذا الباب الابتداءات الواردة في القرآن، كالتحميدات المفتتح بها أوائل السور".[2]

وقال الخطيب القزويني: "ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه، حتى تكون أعذب لفظاً وأحسن سبكاً وأصح معنًى، وجعل الموضع الأول الابتداء لأنّه أول ما يقرع السمع، فإن كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام

[1] ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995م، 224/2.

[2] نفسه.

فوعى جميعه، وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه، وإن كان في غاية الحسن".[1]

ولأهمية المقدمة عقد العسكري باباً سماه (في ذكر مبادئ الكلام ومقاطعه والقول في حسن الخروج والفصل والوصل وما يجري مجرى ذلك)، وخص الفصل الأول (في ذكر المبادئ ونقل عن بعض الكتاب قولهم أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات فإنّهن دلائل البيان).[2]

وقال أهل البيان من البلاغة حسن الابتداء، وهو أن يتأنق في أول الكلام لأنّه أول ما يقرع السمع، فإن كان محرراً أقبل السامع على الكلام ووعاه، وإلاّ أعرض عنه، ولو كان الباقي في نهاية الحسن، فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ؛ ولذلك بعد أن تحدَّث النويري عن حسن الابتداءات، أردفه قائلا: "والكاتب أشدُّ ضرورة إلى ذلك من غيره، ليبتني كلامه على نسق واحد دل عليه من أول

[1] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق:الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، 1419هـ 1998م، ص390.

[2] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق:علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1406هـ- 1986م، ص431.

علم بها مقصده .."."[1]، وأورد ابن رشيق ما يدل على اهتمامهم بمحاسن الافتتاح والاختتام؛ لأنّه أول ما يقرع السمع[2].

إنّ للخطاب المقدماتي في كتب التراث أهمية للكشف عن مقاصد وأغراض التأليف؛ لذلك يقول القلقشندي في كتابه "صبح الأعشى": "أن يأتي في المكاتبة المشتملة على المقاصد الجليلة بمقدمة يصدر به، تأسيسًا لما يأتي به في مكاتبته"[3].

ومن وصية الجاحظ للكُتّاب وهو يحثُّهم على وجوب العناية بتنقيح المؤلفات، ويجعل ابتداء الكتاب فتنةً وعجباً، قوله: "وينبغي لمن كَتبَ كتاباً ألا يكتُبَه إلاّ على أَنَّ النَّاس كلَّهم له أعداء، وكلُّهم عالمٌ بالأمور، وكلُّهم متفرِّغ له، ثمّ لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غُفْلاً، ولا يرضى بالرأي الفطير، ثمّ يضيف قائلاً: فإنَّ لابتداءِ الكتابِ فتنةً وعُجُباً، فإذا سكنت الطبيعةُ وهدأت الحركة وتراجَعَتِ الأخلاطُ وعادت

[1] شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2004م، 110/7.

[2] أبو رشيق القيرواني، العمدة في نحاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، بيروت، ط5، 1401هـ/1981م، 217/1.

[3] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: يوسف علي الطويل، دار الفكر، دمشق، ط1، 1987م، 267/2.

النفسُ وافرة أعاد النَّظر فيه، فَيَتَوَقَّفُ عند فصوله توقُّفَ من يكونُ وزنُ طمَعُه في السلامةَ أنقَصَ من وزَنِ خوفِه من العيب .[1]

إنّ النصوص التي نقلنا طرفاً منها تؤكد إدراكهم لأهمية المقدمات، إذ تكشف عن الغرض والهدف من التأليف، وإن لم تصرح بالمقدمات لكنّها تلمح لها، وتؤكد على كينونتها، وجوهرها في انبثاق القول انبثاقًا يستولي على الأسماع والأفهام.

**2-3- مكونات الخطاب المقدماتي في المدونات الجزائرية:**

**2-3-1- كانوا يحافظون على المقدمة التراثية:** ما نلاحظه على مقدمات المدونات الثلاث -محل الدراسة - هو بدؤها بصيغة افتتاحية تقليدية تعدّ من مكونات خطاب المقدّمة العربية الإسلامية القديمة في صدور خطب كتبهم، لذلك تعدّ البسملة والحمدلة والصلاة على النبي من أهم العناصر التي لا تخلو منها كتب التراث في حضارة الإسلام بشكل عام، وتتشكل منها في العادة ديباجة الكتاب[2].

[1] أبو عثمان بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1416هـ/1996م، 88/1.

[2] الكافيجي، التيسير في قواعد علم التفسير، دراسة وتحقيق: ناص محمد المطرودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1410هـ/1990م، ص115، وأبو إسحاق الثعلبي النيسابوري، الكشف والبيان، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1422هـ/2002م، 73/1.

وبعضهم يزيد الشهادتين.[1]

إنَّ الافتتاح بالحمد في مقدمة الكتب هي لحظة إبداعية تمثل مشروعاً قامت عليه العقيدة، والتصور الإسلامي، والثقافة الإسلامية؛ فالمولى عز وجل، افتتح بالحمد كتابه فقال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة: 2-4]، وقال تعالى ممتناً على إنزاله كتاباً قيماً لا عوج فيه: ﴿الحمدُ لله الذي أنزل على عبده الكتابَ ولم يجعلْ له عِوَجا قيِّما ليُنذِر بأسًا شديدا مِن لدنهُ ويبشِّر المؤمنين الذين يعملون الصالحاتِ أنَّ لهُم أجرا حسنا﴾ [الكهف:1]، وافتتح خلقه بالحمد، فقال تعالى: ﴿الحمدُ لله الذي خلقَ السماواتِ والأرضَ وجعلَ الظلمات والنور ثمّض الذين كفروا بربِّهم يعدِلون ﴾ [الأنعام:1]، واختتمه بالحمد، فقال بعد ذكر مآل أهل الجنة وأهل النار:﴿وترى الملائكة حافِّينَ مِن حولِ العرش يسبِّحون بحَمدِ ربِّهم وقُضي بينهم بالحق وقيل الحمدُ لله ربِّ العالمين ﴾ [الزمر: 75]؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وهو اللهُ لا إله إلا هو له الحمدُ في الأولى والآخرة ولهُ الحكمُ وإليه ترجعون﴾ [القصص: 70]، كما قال: ﴿الحمد لله الذي لهُ ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير﴾ [سبأ: 1].

لذلك قال ابن كثير: "فله الحمد في الأولى والآخرة،"أي في جميع ما خلق وما هو خالق،"هو المحمود في ذلك كلّه، ولهذا يُلهم أهل الجنّة تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس، أي: يسبحونه ويحمدونه عدد أنفاسهم؛ لِما يرون من عظيم

[1] جلال الدين السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق وتعليق: أحمد عمر هاشم ، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، دت، 19/1.

نعمه عليهم، وكمال قدرته وعظيم سلطانه، وتوالى مِنَنه ودوام إحسانه؛ كما قال تعالى: ﴿إنَّ الذين آمنوا وعمِلوا الصالحاتِ يهديهم ربُّهم بإيمانهم تَجري مِن تحتِهم الأنهارُ في جنات النَّعيم دعواهُم فيها سبحانكَ اللهمَّ وتحيتُهم فيها سلامٌ وآخرُ دعواهم أنِ الحمدُ لله رب العالمين﴾ [ يونس: 9،10].

قال العسكري: "لهذا جعل أكثر الابتداءات بالحمد لله؛ لأنّ النفوس تتشوف للثناء على الله فهو داعي إلى الاستماع".[1]

وقال القشقلندي: "ولا خفاء في أنَّ الحمد أفضل الافتتاحات، وأعلى مراتب الابتداءات وإن لم يقع الابتداء به في صدر الإسلام، فهو من المبتدعات المستحسنة، وحيث افتتحت المكاتبة بالحمد لله كان التخلص منها إلى المقصود بأما بعد".[2]

يقول عباس ارحيلة : "ولا غرو فإنَّ لحظة كتابة الحمد لحظة إبداعية يتغير فيها المؤلف بعظمة الخالق وبتجلياته في أكوانه... إنّها لحظة إبداع تتوهج فيها عقيدة المؤمن"[3].

قال ابن معطي:

---

[1] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر،437/1.

[2] صبح الأعشى، 320/6.

[3] عباس ارحيلة، مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، المطبعة والوراقة الوطنية، ط 1، 2003م، ص94.

بدأت بحمد الله نظمي مسلما ** على أحمد الهادي إلى الله داعيا
وبعد فإني ذاكر لمن ارتضي ** بنظمي العروض المجتلي والقوافيا
أتيت بأبيات البديع شواهـــــدا ** أضم إليها فـــــي نظمي الأساميا

وقال الأخضري في مقدمة الجوهر المكنون:

الحَمْدُ لِلَّهِ البَدِيع الهَادِي ** إلى بيَانِ مَهيَع الرشاد

يبقى افتتاح المدونات البلاغية الجزائرية بالحمد لله هو عمق الامتداد والصلة بالتراث، يحمل إحساساً بالانتماء لحضارة الإسلام، وأنَّ الحمد مطلب عقائدي وسلوكي، يجعل المسلم يشعر بعلاقة المخلوق بالخالق، ويشعره بقيمة ما يُقدمه بعيداً عن العبث، وأنّه يقدم أمراً ذا قيمة وأهمية وبال.

**2-3-2- الصلاة على رسول الله:** قال زروق في شرح المقدمة الوغليسية معقباً على الصلاة والتسليم في بداية الرسائل والمؤلفات : "تنبيه: لم يكن هذا محلا للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الماضي، وإنّما أحدث في زمن معاوية في الرسائل ونحوها، فأجمع على استحسانه"[1].

[1] شرح المقدمة الوغليسية لزروق، مخطوط خ.ع بالرباط رقم 866ك، ص3، نقلاً عن الفجر الساطع على الصحيح الجامع، 2/1.

وعلى أنّ خطباء السلف وأهل البيان من التابعين بإحسان ما زالوا يسِمون الخطب التي لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي بالشوهاء[1].

قال ابن معطي:

بدأت بحمد الله نظمي مسلما ** على أحمد الهادي إلى الله داعيا

ويقول الأخضري:

ثم صلاةُ اللهِ ما ترنمَّا حادٍ ** يسوقُ العيسَ في أرضِ الحِمَا
على نبيِّنا الحبيبِ الهَادِي ** أجلِّ كـــلِّ ناطقٍ بالضَّادِ
محمدٍ سيّـــــدِ خلقِ اللهِ ** العربيِّ الطـــــــــاهرِ الأوَّاهِ

ويقول أيضاً:

وأفضلُ الخلقِ على الإطلاقِ ** نبيّنا فَمِل عن الشقاقِ

وإذا رجعنا لكتاب أطفيش، نجده لا يذكر الحمد لله؛ حيث بدأ كلامه بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليما.

إنَّ الإبداع لدى الأستاذ عباس ارحيلة لا يكمن في الزخارف اللغوية بالدرجة الأولى- وإن كان لا يلغيها - وإنَّما هو وثيق الصلة بالتعبير عن الانتماء والعقيدة

[1] أبو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط1، 1968م، 215/1.

قبل أن يكون احتفالا باللغة والأسلوب، لذلك كانوا يصفون الخطبة والكتاب الذي لا يبتدئ صاحبها بالحمد والتمجيد بالبتراء[1].

وتبدو المقدمة في المدونات الجزائرية قصيرة جدًّا، وهذا يناسب المنظومات والمختصرات، وهذا يصدق على كثير من المقدمات، أوقد تكون طويلة جدًّا، حتى إنّها تصلح أن تكون كتابًا مستقلًّا قائمًا بنفسه، مثل: مقدمة ابن خلدون، ومقدمة فتح الباري...

**2-3-3- البعدية: "أما بعد"[2]، "وبعد"[3]:** يتجلى دور البعدية في الفصل "بين الديباجة وباقي المقدمة... بـ "أما بعد" أو "وبعد"، وهما عبارتان معدتان للانتقال، وتؤذنان به إلى الغرض المقصود، ولذلك سميت: "أما بعد" بفصل

[1] أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: تحقيق : هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، دط، 1423 هـ/ 2003م ،223/20، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط520/8، وأبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، غريب الحديث، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م، 53/1.

[2] ينظر: جلال الدين السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، 19/1.

[3] ينظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص17، والسخاوي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، شرح ألفاظه وخرج أحاديثه وعلق عليه: صلاح محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1414هـ/1993م، 16/1، وجلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1407هـ/1987م، 67/1.

الخطاب[1] لفصلها الكلام الثاني عن الأول"[2]، وفسر البغوي أنَّ فصل الخطاب: هو قول الإنسان بعد حمد الله والثناء عليه: "أما بعد".[3]

ويذهب الفخر الرازى وابن عادل إلى أنَّ فصل الخطاب عبارة عن كونه قادراً على التعبير عن كل ما يخطر بالبال ويحضر في الخيال، بحيث لا يختلط شيء بشيء، وبحيث ينفصل كل مقام عن مقام، وهذا معنى عام يتناول جميع الأقسام والله أعلم.[4]

وهذه أيضا كانت حاضرة في المدونات الجزائرية؛ يقول ابن معطي:

وبعدُ فإنّي ذاكر لمن ارتضي ** بنظمي العروض المجتلي والقوافيا

تلك أهم المرتكزات التي انطوى عليها خطاب المقدمة كما صنعها العلماء المسلمون القدامى طيلة قرون من التأليف، وهي الطريقة التي حافظ عليها علماء الجزائر وهي مرتكزات مرتبطة أشد الارتباط بمعينات التأليفات، والارتباط بالعقيدة والدين، وهي القراءات التي تكون دائماً مصاحبة لدراسة الخطاب المقدماتي وهدف كل مهتم بكتب التراث.

---

[1] فصل الخطاب الذي أُعطيه داود، ينظر: تفسير ابن كثير 59/7، وتفسير الثعلبي، 185/8.

[2] عباس ارحيلة، مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، ص101.

[3] البغوي، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط4، 1417هـ/1997م، 78/7.

[4] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربى، بيروت، دط، دت، 389/26.

## 2-4- تأصيل الإبداع في خطاب المقدمات من خلال براعة الاستهلال:

إنّ قيمة المقدمة تظهر جليَّة في براعة الاستهلال التي كانوا يصدِّرون بها كتبهم؛ حيث كانوا يحرصون على أن تُستهل مقدماتهم بوضع القارئ في المدار العلمي للكتاب، ويقدمون إليه بعض العناصر الأولية التي تشي بموضوعه وتلمح إليه بصورة تثير في نفس القارئ رغبة جامحة في الاطلاع عليه وقراءته، ويتجلى ذلك في قول الأخضري في مقدمة الجوهر المكنون:

الحَمْدُ لله البديعِ الهـــادي ** إلى بيانِ مَهيعِ الرشادِ

وأفضلُ الخلقِ على الإطلاقِ ** نبيّنا فَمِل عن الشقاقِ

لأنّ التناسب بين الاستهلال والموضوع والإبداع يكمن في براعة الاستهلال والقدرة على جلب المتلقي وجعله منصاعاً لمقتضى القول، مدركاً للمناسبة بين الكلام والمقصد، وعلى هذا فإنَّ براعة المقدمة مساوية لبراعة الاستهلال، ومشروطة بشروط ذلك الاستهلال الذي استحق أن يكون بارعًا في جذبه وتنبيهه.

لذلك كانوا يحرسون في ديباجة المقدمة على براعة الاستهلال؛ لأنّهم كانوا يهدفون من خلاله إلى التأثير في المتلقي، وجلب اهتمامه للموضوع المطروق، وتهيئته لسماع تفصيل ما سيرد عليه، وحمله على الانصياع لمقتضى الموضوع المطروح، والإبداع يكمن في براعة الاستهلال والقدرة على توظيف العبارات التي

تكون مناسبة بين الكلام والمقصد؛ ولذلك قال القزويني: "وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود ويسمى براعة الاستهلال"[1].

وتعدّ براعة الاستهلال في المقدمات عنصراً من عناصر الإبداع، وقد تجلى الإبداع في براعة الاستهلال من خلال المقدمات التي انتخبها المؤلفون، والتي تنوعت طرقها في صياغة العبارات التي تناسب الموضوع، لأنّه يراد بهذا التركيب أحد أمرين: الأول: أن يشير المصنّف في ابتداء تأليفه قبل الشروع في المسائل بعبارة تدل على المرتّب عليه إجمالاً.[2]

والثاني: كون ابتداء الكلام مناسباً للمقصود، وتقع في غُرر الكتب كثيراً[3]، وهو ما يحاوله المصنفون في ديباجاتهم، وجعله ميداناً للإبداع ودرساً تطبيقياً في بلاغة التناسب.

## 3- التكامل المعرفي بين العلوم اللغوية والدراسات الشرعية:

تبقى الدراسات اللغوية من بين أهم الأدوات التي اشتغل عليها علماء المغرب العربي عموماً، ليتوصلوا بها لفهم النص القرآني، واستنباط الأحكام الشرعية منه، فهل يمكن الإدعاء بأنّ علماء الجزائر كانوا ملمّين بظاهرة التكامل،

---

[1] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص392.

[2] هيثم هلال، معجم مصطلح الأصول: مراجعة وتوثيق: محمد ألتونجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م، ص56.

[3] محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف: تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1410هـ، ص124.

من خلال العناية باللغة العربية وعلوم البلاغة؛ لأنّها وسيلتهم لفهم كتاب الله عز وجل الذي لا يفهم حق الفهم، ولا تدرك أسراره ومقاصده، ولا تقطف ثماره وأزهاره، ولا يوقف على مفاتيح سموه وإعجازه إلا بالاستعانة بهذا العلم الجليل؛ لأنّ ثّمة صلة تكامل بين العلوم الشرعية والعلوم اللغوية، وهذا ما يمكن استيضاحه من خلال التساؤلات المرجعية المؤسسة لإشكاليات التأسيس النظري للعلوم اللغوية والتي تأسست خدمةً لفهم القرآن الكريم، فوحدة التأسيس لهذه العلوم اللغوية والمرجع الذي استمدت منه حدوده المعرفية، ووحدة المنهج، ومحورية النّص القرآني المقدس كلّها قد ساهمت في تجسيد هذا التكامل بين العلوم الشرعية والعلوم اللغوية .

يقول الأخضري في الجوهر المكنون:

فأبصرُوا مُعجِزةَ القرآن ** واضِحةً بساطعِ البرهان

وشاهَدُوا مطالعَ الأنوارِ ** وما احتوتْ عليه مِنْ أسرارِ

وشاهَدُوا مطالعَ الأنوارِ ** وما احتوتْ عليه مِنْ أسرارِ

وقوله:

ما عكفَ القلبُ على القرآنِ ** مرتقِيًا لحضرةِ العِرْفَان

فخدمتهم لعلوم العربية وآدابها إنّما كانت من أجل خدمة القرآن والحديث، بل إنّنا لنستطيع أن نقول: إنَّ كلّ ما في ثقافتنا من تنوع وتعدد وتلون في العلوم والفنون والمعارف، إنّما كان لخدمة القرآن والسنة.

هذا الالتحام الوثيق بين العربية والعلوم الإسلامية، كان حاضراً عند علماء الجزائر، كلّ ذلك دعاهم إلى إعادة بناء العلوم اللغوية والاستفادة منها في الدراسات الشرعية، وبذلك ساهموا في توطين العلوم، وإخراجها من تجزئة المعرفة إلى تكاملها، فإنّ اعتماد ذلك ضمن سياق معرفي واحد سيعني التأسيس لنظام معرفي له أبعاده الموضوعية وخصوصياته الحضارية، ويمثل في النهاية جزءاً حيوياً في مشروع نهضة علمية تتكامل فيه العلوم اللغوية مع علوم الشريعة، بقدر ما هو عمل علمي، لكن له أبعادًا أخلاقية واجتماعية وحضارية.

وقد عبّر عن ذلك السيوطي بقوله: "وإنَّ كتابنا القرآن لهو مفجِّر العلوم، ومنبعها، ودائرة شمسها، ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علمَ كلِّ شيء، وأبان فيه كلّ هدي وغيٍّ، فترى كلّ ذي فن منه يُستمد وعليه يُعتمد، فالفقيه يستنبط منه الأحكام، ويستخرج حكم الحلال والحرام، والنحويُ يبني منه قواعد إعرابه، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام، وفيه من القصص والأخبار ما يذكِّر أولي الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر؛ أساليبه تبهر العقول وتسلب القلوب، والإعجاز والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلاّ من

علم حصرها، هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة نظم، لا يقدر عليه إلاّ علام الغيوب"[1]. وبما أنّ القرآن ظهر في ثقافة تعبّر عن نفسها بواسطة اللغة المحمولة في هذا النص –وهو النّص القرآني– فكان من الطبيعي أن يكون القرآن هو المحور الرئيس الذي التقت وانصهرت فيه مختلف العلوم خاصة الدراسات اللغوية...

وفي اعتقادي سيظلّ التفاعل الوظيفي بين علوم العربية وعلوم القرآن سؤالاً محورياً ومركزياً، يبحث عن الأجوبة في سياق أسئلة أعمق وأعمَّ تتعلق بالتعامل مع القرآن والتفسير، والحديث، والعلوم التي تتكامل معه، لذا كانت النظرة الشمولية الكلية ضرورية؛ لأنّ النظرة التفكيكية، والتجزيئية لا تخدم المعرفة، بل تضيعها.

وما اعتناء علماء الجزائر بالدراسات اللغوية إلاّ لاعتنائهم بالإسلام الحنيف وكتابه الخالد الذي لا يدرك أسراره إلا من تضلع من اللغة العربية وآدابها، وإدراكهم أنّه لا يجوز لمن يجهل الدراسات اللغوية أن يخوض في القرآن.

## 4- ربط الجانب النظري بالجانب التطبيقي:

ولما كان بين الجانب التنظيري والجانب التطبيقي وشائج تكاملية، إذ لا يمكن أن نتصور قيام ممارسة علمية من دون نظرية مسبقة، وإلاّ تحولت الممارسة لخبط عشوائي، ولجهد بلا طائل أو جدوى، كما لا يمكن الحديث عن النظرية بمعزل عن الإنجاز الذي يشكل الإطار المرجعي لها، وإلا تحولت لمجرد فلسفة

[1] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1407هـ/1987م، 67/1.

وحبر على ورق وجسد من دون روح، فلما كان كلا الجانبين ضروري، إذ لا يمكن تغييب العلاقة الجدلية بينهما؛ حرص علماء الجزائر في مدوناتهم على الجمع بين النظرية والتطبيق، من خلال الفنون البلاغية، ففي رحلتهم للتأسيس لفن البديع سواء في إطار التحولات المفاهيمية لحدوده المعرفية، أو التساؤلات المرجعية المؤسسة لبنائه المنهجي، كانوا يحرصون على الجمع بين النظرية والتطبيق؛ لذلك نرى التكامل والتلاحم والتنسيق بين تنظير يؤسس ويُرشد، وتطبيق يشيِّد ويجسِّد صدقَ ذلك التنظير، فمن دون ذلك يبقى العمل غير مكتمل، وهذا ما نشهده من خلال التكثيف في الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية، والشواهد الشعرية.

يجد الباحث نفسه وهو يتناول إسهامات علماء الجزائر في الدرس اللغوي أمام إشكالية وشبهة واتهام مفاده أنّ علماء المغرب عموماً تنطبع أعمالهم بالتقليد والاجترار والتبعية، فهم مجرد مقلدين للمشارقة، مجترين لما ابتكروه وأبدعوه، متبِّعين لما سَنُّوهُ واستحدثوه، ويمثل كثير من الباحثين المعاصرين بابن معطي في علم البديع؛ حيث يرون أنّه مقلد للتبريزي، وأنّه اتبع الخطيب حرفياً في أنواع البديع من حيث المصطلحات، ومن حيث العدد، ومن حيث الترتيب، لم يخلفه إلاّ في باب الألغاز الذي ذكره ابن معطي، ولم يذكره الخطيب، وحتى الشواهد التي وظفّها ابن معطي تكاد تكون حرفياً هي الشواهد نفسها التي وظفّها الخطيب، حيث لم يستشهد ابن معطي بالقرآن الكريم ولا بالحديث النبوي الشريف؛ بل جلُّ استشهاداته كانت كلّها من الشعر، وهذا ما نجده جلياً عند الخطيب في كتابه "الكافي في

العروض والقوافي"، ممّا جعلهم يقرُّون أنّ ابن معطي كان مقلداً في منظوماته البديعية للخطيب، وهذا ما دفع محقق كتاب "الكافي في العروض والقوافي" الدكتور فخر الدين قباوة عند فهرست الفهارس يكتفي بفهرس الأعلام، فهرس القوافي، فهرس المصادر، فهرس الموضوعات؛ فلم يذكر فهرس الآيات وفهرس الأحاديث، لأنَّه لم يستشهد بهما، فمثلا استشهد الخطيب في الطباق بكل من: جرير:[1]

وبَاسِطَ خَيرٍ فيكم بيمينه ** وقابض شرٍّ عنكم بشماليا

وبقول دعبل:

لا تَعجَبي يا سَلمُ مِنْ رَجُلٍ ** ضحكَ المشيبُ برأسهِ فبكى

وبقول البحتري:

تُقَيَّضُ لي من حيث لا أعلم النّوى ** ويسري إليّ الشَّوق برأسه فبكى

وبقول أبي تمامَ:

مها الوحشِ إلاّ أنّ هاتا أوانسٌ ** قنا الخطِّ إلاّ أنّ تلك ذَوابلُ

[1] الخطيب التبريزي، الوافي في العروض والقوافي، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ط4، 1986م، ص231-233.

وبقول الشاعر:

فحالَفَها فقرٌ قديمٌ وذلّةٌ ** ويئس الحليفان المذلّة والفقر

وبقول الشاعر:

جهلاً علينا وجبناً عن عدوّهم ** لبئست الخلَّتان الجهلُ والجُبنُ

وبقول جريرَ:

أخَلبتنا وصدَدْت أم مُحلَّمٍ ** أفتجمعين خِلابةً وصُدودا

وقول عكرشة:

فارقتُ شغْباً وقد قوّستُ من ** كبرٍ لبئست الخِلَّتان التُّكْلُ والكبرا

وقوا النابغة:

يريشُ قوماً ويبري آخرين به ** لله مِن رائشٍ عمرو ومن باري

وبقول الأعشى:

لا يرقَعُ الناسُ ما أوهى وإن جهدوا ** طول الحياة ولا يُوهون ما وقعا

وهي الأمثلة والشواهد نفسها التي استخدمها ابن معطي، ولعل الخلاف في هذه الشواهد أنه لم ينسب بعض الأبيات لقائلها كما فعل الخطيب، مثل قول أبي تمام: "مَهما الوحش" وطريقة الكتابة، فقد كان ابن معطي على طريقة ورش مثل

"لبئست" التي كتبت في المخطوطة: "لبيست"، وقول النابغة: "يريش من رائش رايش"، وقول الأعشى: "طول الحياة"، التي كتبت على طريقة ورش في المصحف الحيوة.

وعند الحديث عن التوفيف: يقول الخطيب: المشبَّه بالبرد المفوّف، وهو الذي يُخلط في وشيه شيء من بياض، وهو كقول جرير:

هُمُ الأخيارُ مَنسِكَةً، وهدْيـــاً ** وفي الهيجاء كأنَّهُمُ صُقُور[1]

بهمْ حدبُ الكرامِ على المعالي ** وفيهمْ عنْ مساءتهمْ فُتُورُ

خَلائِقُ بَعْضُهُمْ فيــها كَبَعضٍ ** ويؤمُّ كبيرهمْ فيها الصَّغير

عَنِ النّكْرَاء كُلّهُمُ غَبـــــــيٌّ ** وَبالمَعْــرُوفِ كُلّهُمُ بَصِيرُ

ويقول ابن معطي: وهاك القول في التفويف، يحكي برود الوشي، جاء به جرير، ونلاحظ في تعريفه أنه نقل قول الخطيب وحتى الأمثلة نفسها وهي أبيات جرير.

ويقول الخطيب: وكقول مروان بن أبي حفصة:

[1] هكذا في الوافي في العروض والقوافي، ص: 256، وفي ديوان جرير:
هُمُ الأخيارُ منسكةً وهدياً ** وَفي الهَيْجَا كأنّهُمُ الصّقُورُ
بهمْ حدبُ الكرامِ على الموالي ** وفيهمْ عنْ مساءتهمْ فقورُ
خَلائِقُ بَعْضُهُمْ فيها كَبَعضٍ ** ويؤمُّ صغيرهمْ فيها الكبير

بنو مطَرٍ يومَ اللّقاءِ كأنّهمْ ** أسودٌ لها في غِيلِ خفّانَ أشبُلُ

همُ يمنعون الجارَ حتى كأنّما ** لجارِهِمُ بينَ السِّماكَيْنِ منزلُ

لَها ميمُ في الإسلام سادوا ولم ** يكُنْ لأوّلهم في الجاهليةِ أولُ

همُ القومُ إن قالوا أصابوا وإن دُعوا ** أجابوا وإن أَعْطَوا أطابوا وأجزَلوا

وما يستطيعُ الفاعِلونَ فَعالَهُم ** وإنْ أحسَنوا في النّابياتِ وأجْمَلوا

وقال الخطيب: وكقول إبراهيم بن العبّاس:

تطلَّع من نفسي إليك نوازعٌ ** عوارفُ أنَّ اليأس منكِ نصيبها

حَلالٌ لِلَيلى أن تروع فؤادهُ ** بهجرٍ، ومغفــورٌ لليلى ذنوبُها

وقال ابن معطي: ومن حسن التفويف ما قال: "هايم بمحبوبه تشكو الصدود حبيبها"، والشواهد نفسها، والنقل واضح بدليل أنّ الخطيب أعقب بعد التفويفِ التفريعَ وهو ما نلاحظه عند ابن معطي، واستشهد بقول الأعشى كما جاء به الخطيب:[1]

ما روضةٌ من رياضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ ** خضراءُ جادَ عليها مُسْبُلٌ هَطِلُ

يُضاحكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَــرِقٌ ** مُّــــؤَزَّرٌ بعميمِ النَبْتِ مكتهلُ

[1] المرجع السابق، ص256.

يوماً بأطْيَبَ منها نَشْرَ رائحـــــــــةٍ ** ولا بأحسنَ منـــها إذْ دنا الأُصُل

ثم تحدث عن التسميط والتضمين كما وردا عند الخطيب.

ومع كل ما سبق ذكره، إلا أنّ الإبداع في منظومة ابن معطي يكمن براعته في النظم: فله عدد كبير من المنظومات التي اشتهر بها تدل على غزارة علمه، وقوة فهمه، وجودة طبعه، وفصاحة نظمه، وعبقريته، منها:

1- الألفية في النحو: وهي منظومة جمعت علم النحو والصرف من بحرين هما السريع والرجز، وقد سماها بالدرة الألفية.

2- البديع في علم البديع: منظومة في البلاغة وصناعة الشعر، وقد اشتمل على واحد وخمسين محسنا بديعا.

3- نظم كتاب الجمهرة لابن دريد.

4- شرح أبيات سيبويه -نَظْم-.

5- ديوان شعر.

6- قصيدة في العروض.

7- أرجوزة في القراءات السبع .

8- نظم كتاب الصحاح للجوهري: توفى قبل إتمامه.

9- الفصول الخمسون.

صحيح أنّ هذه المنظومات أغلبها ضاعت أو بقيت مخطوطات لم يتيسر إلى الآن إخراجها ماعدا الألفية، و"الفصول الخمسون"، ومنظومته "البديع في علم البديع"، ولعل هذا **ما يميز ابن معطي عن التبريزي**، فابن معطي يأتي أولاً بالفن البديعي المراد تعريفه في قالب شعري من نظمه، ثمّ يتبعه بالشاهد المستشهد به لهذا الفن على الوزن نفسه وعلى القافية نفسها، وفي اعتقادي أنّ هذا عمل إبداعي تفرَّد به ابن معطي عن الخطيب، فهو ليس مقلداً له؛ فتراه يقول عن فن الطباق

فهاك وفي ذكر الطباق وحده ** مقابلة الضدين، منه أتى ليا

مقال جرير فاستمعه تجد به ** مقابلة مكنونها النظم حاليا

وباسط خير منكم بيمينه ** وقابض شر عنكم بشماليا

فإذا أراد أن يعبر عن فكرة أخرى، قدمها في وزن الشاهد عليها وقافيته فيقول

ومنه طباق النفي للبحتري قد ** أتى منه، فاعلم أن ذاك المقدم

يقيِّض لي من حيث لا أعلم ** النوى ويسري إلي الشوق من حيث أعلم

وكقوله:

وهاك في المساوة قد أتى ** زهير لها مثل الجمان المُنظّم

ومَهما تكُنْ عندَ امرىءٍ من خليقةٍ ** وإنْ خالَها تَخفَى على النّاسِ تُعلَمِ

وقوله:

وهاك في المبالغة استمعها ** فالبتوكيد صاغ لها مثالا

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا ** ونُتْبِعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَالاَ

وعلى هذا النحو يمضي ابن معطي في سائر أبيات منظومته التي بلغت تسعة وتسعين ومئتي بيت(299)؛ اشتملت على ثمانية وأربعين فناً بديعياً (48)، استشهد عليها ابن معطي بستة عشر ومائة شاهد شعري، وهو ما يعكس نزوع ابن معطي في منظومته إلى التكثيف الاصطلاحي الذي نادى به الدرس البلاغي الحديث، بعد أن تفرعت مصطلحات البديع وزادت عن الحد المقبول.

وربما تجاوز الإبداع في عمل ابن معطي أنّ الشواهد التي استشهد بها في منظومته ليست مجرد شواهد، ولكنها منهج تربوي توحي في مضامينها إلى ربط المتلقي بالجانب الشرعي، ففيها التوحيد، والأخلاق، والأدب، والفقه...، فمن تلك الشواهد الشاهدُ الذي استشهد به في باب الطباق:

وباسط خير فيكم بيمينه ** وقابض شر عنكم بشماله

وبقول الآخر:

لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم ** عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا إن سابقوا

وفي باب التقسيم استشهد بقول الشاعر:

إن حاربوا وضعوا أو سالموا رفعوا *** أو عاهدوا ضمنوا أو حدثوا صدقوا

## 5- منهج الجزائريين في مؤلفات علم البديع:

حرص علماء الجزائر في مدوناتهم محل الدراسة على إبراز قضيتين أساسيتين:

**5-1- الجانب التعليمي:** ويتجلى ذلك واضحاً في منظومة ابن معطي؛ حيث نوّع في البحور الشعرية فاستعمل الطويل، والكامل، والبسيط، والمتقارب، والوافر، والخفيف، والرجز، والسريع، وهذه الميزة تحسب له، وتدل على قدرته على نظمها في أبيات؛ إذ استطاع أن يعيد تشكيلها في قالب شعري تعليمي، الغرضُ منه تيسر البلاغة وتسهيل حفظها على طلبة العلم.

ويبدو أنَّ المنهج التعليمي ظلّ حاضراً في المدونات الجزائرية محل الدراسة، لذلك كانوا يعرِّفون فن البديع ثمّ يتبعونه بأنواع الشواهد من القرآن، والحديث، وأشعار العرب.

ويصطبغ منهجهم بأسلوب الحوار التعليمي تارة، وهذا ما نلمسه عند ابن معطي؛ حيث نجده يستعمل اسم فعل الأمر هاك أكثر من ثلاثين مرة، وغالباً ما يدخل في حوار تعليمي مع المتلقي المفترض باستعمال صيغ الأمر: اسمع، انظر، استمع، اصغ... ويبدو أنّ المنهج التعليمي ظلّ حاضراً بكثرة في منظوماتهم، ومن مظاهره التبسيط، لذلك لم يتهموا بالتعاريف اللغوية، والاكتفاء بالتركيز على المعنى الاصطلاحي الذي هو الأساس المنهج التعليمي؛ وعلى هذا جاءت أكثر -ألوان

البديع- خلوا من التعريف اللغوي، إلا بعض الأبواب كما فعل أطفيش في باب الطباق، وباب الأرصاد، وباب الاستخدام، وباب الإدماج، وباب إرسال المثل.

لقد استطاع علماء الجزائر بهذا المنهج التعليمي أن يقرّبوا مفاهيم علم البديع من المتلقي، على الرّغم من كثرة المصطلحات التي وظّفوها، فابن معطي كان يعرف مصطلحاته تعريفاً دقيقاً، فمثلا عندما عرَّف براعة الاستهلال قال:

براعة الاستهلال أن تبتدي بما ** يدل على المقصود في البيت الأول

**5-2- الجانب التربوي: "وضوح الاتجاه التربوي"**: حيث حرص الأخضري في كتابه "الجوهر المكنون" كلما سنحت له الفرصة على تنبيه طالب العلم على أمور قد ينساها أثناء طلبه للعلم مثل: كثرة الذكر، الحرص على الوقت، حفظ اللسان بالاشتغال بالعلوم النافعة إلى غير ذلك، وهذا منهج تربوي يمثل منهجاً خاصاً عند علماء الجزائر، وهذا ما نجده أيضاً عند ابن معطي في منظومته "البديع في علم البديع"، والتي نجد فيها العلم، والأخلاق، والقيم، والآداب، والحكمة...

وقد ربط الأخضري بين البديع والدراسات الشرعية، عندما عقد فصلاً تحت عنوان: (فصلٌ: فيما لا يعدُّ كذباً)، وذلك بقوله:

وليسَ في الإيهـــامِ والتّهَكُّمِ ** ولا التغالي بســـوى المُحَرَّمِ

مِنْ كَذِبٍ وفي المِزاحِ قَدْ لَزِبْ ** بحيثُ لا مندوحةٌ عنِ الكذبْ

ولم أطلع على كتاب أو مصنف بلاغي ذكر لك، بخلاف كتب الشريعة التي ذكرت ذلك كثيراً، من ذلك ما ذكره النواوي في الأذكار، المبالغة وأنه لا يعد كذباً[1].

وقد ألفينا الأخضري يكثر من التنبيهات الإيمانية والتربوية، والأخلاقية، ولذلك أكثر من مصطلحات التصوف.

**5-3- الاتجاه المنطقي:** لقد كانوا يعمدون إلى وضع الحدود والتعاريف البلاغية أولاً، ثمّ الأخذ في التقسيم مع التمثيل والاستشهاد لكل نوع من أنواع البديع، وتارة الحوار الجدلي المشبع بصور المنطق ومعانيه، كما فعل الأخضري في "الجوهر المكنون"؛ حتى تكاد تحسبه لما فيه من دقة البحث ولطف الفهم وحسن التصرف في الاستدلال والنقض ومراعاة النظام المنطقي حواراً فلسفياً.

أما أطفيش فقد ظهر من كتبه تمكنُّه للمسائل التي يبحث فيها، وقد استطاع، كغيره من العلماء، أن يبرهن على ذلك من خلال ظاهرة "العنديات" التي حفلت بها جميع كتبه البلاغية، وأعني بها ما كان يطلقه من عبارات من نحو: "وعندي، والظاهر عندي، وعندي هنا وجه لم أره لغيرى، ويجوز عندي،... وكذلك ردوده على بعض البديع.

**5-4- منهجهم بين الإطالة والاختصار:** نجدهم في بعض الأحيان يطيلون في بعض الأبواب، كما فعل الأخضري في باب الجناس؛ حيث ذكر سبعة

[1] يحيى بن شرف النووي، الأذكار النووية، دار الفكر، بيروت، 1414هـ/1994م، ص281.

أبيات كاملة في الجناس من البيت 203 إلى البيت 237، مع أنّ الغرض من المنظومة هو الاختصار كما صرح بذلك:

وقد دعا بعض من الطلابِ ** لرَجَزٍ يهدي إلى الصوابِ
فجئته برجَزٍ مفيـــــــــدِ ** مهذّبٍ منقَّـــــح سديـدِ
ملتقِطا مـــن دُررِ التلخيص ** جواهرا بديعـــةَ التخليصِ
سلكتُ مــا أبْدَى منَ الترتيبِ ** وما ألوتَ الجهد في التهذيبِ

ملتقطاً درر التلخيـــــــص ** جـــــواهر بديعة التلخيص

سلكت ما أجدى من الترتيب ** وما ألوت الجهد في التهذيب

وهذا ما نجده عند ابن معطي في منظوماته "البديع في علم البديع"؛ حيث استطرد وأطال في باب الجناس، فذكر نحو 22 بيتاً من البيت 5 إلى البيت 27، أو كما فعل أطفيش في باب الطباق، حيث ذكر فيه نحو 14 بيتاً.

وقد يميلون إلى الاختصار في أبواب أخرى، كما ابن معطي حيث يعمد إلى تعريفات موجزة مقتضبة، كما في باب الزيادة، والموازنة... أو كما أطفيش في باب التأنيس، وفي باب الجناس اللفظي.

ويلاحظ أنّ الأخضري وأطفيش قد أطالا في الشرح والتذليل في بعض الأبواب والمسائل؛ لأنّهما كانا يبحثان على الغاية التعليمية، ولم يكن يهمهما إن توسعا في الشرح، أو استطردا في ذكر بعض ماله صلة بالباب، أو غير ذلك؛

وبالتالي فقد جاءت بعض المباحث أطول تناولاً، من حيث الشرح، كما أن بعضها الآخر اختُزل في سطر أو سطرين.

**5-5- كثرة الاستطرادات:** لكنها استطرادات تحمل معها غالباً مقصداً معتبراً وهو التعليم، لذلك كانوا يتعمدون بعض الاستطرادات قصد تدريبِ الطلاب على المسائل البلاغية، والحرصِ على لفت انتباه الطلاب، وتبقى مسألة الاستطراد مسالة نسبية تتفاوت فيها وجهات النظر.

**5-6- منهجهم في الجمع:** اختلفوا في جمع البديع؛ حيث اكتفى ابن معطي بثمانية وأربعين نوعاً من أنواع البديع، على حين أوصله الأخضري إلى حوالي ستة وثمانين نوعاً، وأوصلها أطفيش إلى أكثر من مائة وسبعة وتسعين نوعاً بديعياً، كل نوع جعله في باب مستقل، وهو كمٌ هائل، وربما يكون اطفيش بذلك من القلائل المتأخرين الذين جمعوا ما تناثر من الأنواع البديعية في كتب السابقين وأودعوها في كتاب برأسه.

هذا الكمُّ الهائل من المصطلحات بغض النظر عن التفاوت الكمي في أنواع البديع عند علماء الجزائر، وهذا الكم الهائل من الأبواب يدل على إحاطتهم بتقاسيم السابقين المكثرين في التوسع في البديع، ومع ذلك بقي المصطلح محافظا على عمومه، وبذلك يكون علماء الجزائر قد أسهموا في تكوين معجم ثري لمصطلحات البديع أغنوا بها المكتبة.

ولما كان الغرض من المنظومات هو التيسير، لذلك وجدناهم ينحون منحى التبسيط والسلاسة، وضبط المصطلحات المستخدمة؛ لأنّ مشكلة أيِّ علم تكمن في عدم فهم دلالات مصطلحاته، لذلك تسعى إلى ضبطها وتحديدها الأممُ والثقافات المختلفة، فلا يمكن بحالٍ من الأحوال أن تتقدمَ أمة أو تزدهر حضارتها دون العناية التامة بأمر المصطلحات.

فكان المشكل الاصطلاحي عقبة أعاقت ضبط مصطلح البديع الذي تفرعت أنواعه، يقول خليفة الميساوي: "فإنّ أيّ علم يريد أن يتطور عليه أن يحسن بناء مصطلحاته المناسبة لمتصوراته والملائمة لمفاهيمه..."[1]، فيمكن عدُّ المسألة الاصطلاحية بوصفها العقبة التي تواجه مشروعية إعادة الاعتبار للبديع، فصياغة المصطلحات في الفكر العربي ما زال يطرح إشكالات عدة لا يمكن تجاهلها، وهو من العوائق التي أعاقت ضبط المصطلحات؛ لأنَّ ضبط المفاهيم يشكل الوعاء الذي تطرح من خلاله الأفكار، فإذا اضطرب ضبط هذا الوعاء أو اختلت دلالاته التعبيرية، أو تميَّعت معطياته اختل البناءُ الفكري ذاته، واهتزت قيمه في الأذهان، وخفيت حقائقه، والتبست معانية؛ لذلك يعتبر ضبط المصطلحات والمفاهيم اللحظة العلمية البارزة، ليس من قبيل الإجراء الشكلي أو التناول المصطنع بقدر ما هو عملية تمسُّ صلب المضمون وتتعدى أبعادها إلى نتائج منهجية وفكرية، حتى نتجاوز التباس المفاهيم، واختلاطها بغيرها؛ إذ يبقى الجهاز المفاهيمي الركيزة

[1] خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات الاختلاف، الجزائر – منشورات ضفاف، بيروت، ط2، 1436هـ/2015م، ص18.

الأساس لأيّ شرعية علمية مصطلحية، فعدم ضبط مصطلحات البديع عبر تاريخه الطويل تعدُّ معضلة من معضلات الدراسات البلاغية، ودليل على التيه المنهجي، إذ لم يحصل اتفاق على المصطلح، من حيث التسمية، وضبط المفهوم، والأنواع فتعددت التسميات ولم تستقر على تسمية معينة.

## 6- عدم اضطراب مفهوم البديع عندهم:

كثير من الأنواع البديعية التي ذكره أهل البلاغة في مصنفاتهم ليست داخلةً في علم البديع؛ بل هي من مسائل علمي المعاني والبيان ويبدو أنّهم مشوا على طريقة من يطلق البديع على البلاغة كلّها، فلذلك كانوا لا يفرقون بين المصطلحات البلاغية، فالكل يدخل تحت مسمى البيان[1].

ويظهر لي أنّ أصحاب المدونات -محلَّ الدراسة- كانوا على وعي بضرورة ضبط مصطلح البديع ومباحثه، فجلُّ المباحث التي ذكروها تدخل تحت مسمى علم البديع، ومع ذلك تبقى بعض المصطلحات متداخلة من حيث المفهوم والدلالة: كالتسهيم والمساوة، الغلو والمبالغة، التتميم والتكميل...

[1] قال القزويني: "كثير من الناس يسمي البديع علم البيان، وبعضهم سمى الأول علم المعاني والثاني والثالث علم البيان والثلاثة علم البديع"، ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص16.

## 7- مصادرهم:

من الشروح التي سجلت حضوراً في المدونات البلاغية الجزائرية "تلخيص المفتاح" للقزويني، ولا غرابة في ذلك لأنّه من أشهر الشروح وأوسعها شهرة بين العلماء في المشرق، والمغرب، فقد حظي باهتمام بالغ من العلماء، فأقبلوا على شرحه وتلخيصه، ونظمه.

قال الأخضري:

فجئته برجز مفيـــــد ** مهذب منقح سديـــد

ملتقطاً درر التلخيص ** جواهر بديعة التلخيص

ومن المصادر التي سجلت حضورها "المطول" للتفتازاني، عند كل من أطفيش والأخضري، فقد أكثر الأخضري من الاعتماد عليه؛ بل كان ينقل عبارته بالنص مع العزو إليه، ويبدو أن الأخضري لا يكتف بالإكثار من النقل منه، بل يصل به الأمر إلى حد الإعجاب بالمطول للتفتازاني.

وكذلك من المصادر المعتمدة مفتاح العلوم للسكاكي، حيث نال هذا الكتاب شهرة فائقة في ميدان البلاغة، فقد فُتن به العلماء من المشرق والمغرب، إلى حد جعلهم ينسون أنفسهم وينكرون ملكاتهم، ولهذا ظلوا قروناً عديدة – ابتداء من القرن السابع الهجري وإلى القرن الماضي– عاكفين على دراسته وشرحه وتلخيصه، حتى لكأنه لم يؤلف في البلاغة كتاب غيره.

**8- دور رحلاتهم في إثراء الدرس اللغوي العربي:** حيث لم يحصروا أنفسهم وعلمه في الأراضي الجزائرية، بل سافر ابن معطي إلى دمشق في عهد (الدولة الأيوبية) طلبا للرزق بعد الانتهاء من نظم ألفيته، وذلك لِما كان شائعاً عن إعجاب الولاة بالعلم وأهله في تلك المنطقة.

اشتغل ابن معطي هناك، ثم أعجب به الملك الكامل وأخذه معه إلى مصر حيث عاش بقية حياته مدرساً بالجامع العتيق، إلى أن وافته المنية، ودفن بالأراضي المصرية، فهل كان لتلك الرحلات أثر في تقليده للمشارقة؟

وفي منتصف القرن السادس الهجري ورث صلاح الدين السلطة عن أبناء زنكي السلاجقة، وسيطر على الشام ومصر والجزيرة العربية واليمن وشمال العراق، فقرب صلاح الدين وخلفاؤه الفقهاء والمحدثين وأغدقوا عليهم، ومن أعلام هذا العصر ابن الجوزي وابن صلاح وأبناء السهروردي والسرخسي صاحب كتاب المبسوط، وقد ألف ابن الجوزي في كثير من فروع الثقافة الإسلامية، في القرآن والحديث، والتاريخ واللغة والأدب، وقيل إن تصانيفه بلغت ثمانمائة، وألف الكاساني كتابه في الفقه، كذلك اشتهر في هذا العصر ابن الساعي صاحب "المختصر"، وعز الدين بن الأثير صاحب "الكامل في التاريخ"، وابن النجار صاحب "ذيل تاريخ بغداد"، وابن عساكر صاحب "تاريخ دمشق"، وعبد اللطيف البغدادي صاحب "تاريخ مصر"، وياقوت الحموي صاحب "معجم الأدباء"، وابن خلكان صاحب "وفيات الأعيان"، وابن أبي أصيبعة صاحب "معجم الأطباء"...وغيرهم.

وشهد القرن السابع الهجري نشاطاً ملحوظاً في التأليف من ناحية، وفي جمع الكتب وإنشاء المكتبات من ناحية أخرى، والعناية بها، وشملت العناية بالكتب كل المشتغلين بالعلم والأدب من العلماء والأدباء والمفكرين، فقد وجد في كل مدرسة من مدارس الشام خزانة للكتب، كالمدرسة الأشرفية بدمشق والمدرسة العادلية، والمدرسة العمرية، والمدرسة الناصرية[1]، كما وضعت أغلبية المساجد مكتبات احتوت على مختلف أنواع العلوم؛ كالمكتبة التي في الجامع الأيوبي بدمشق.

هذا وقد كثرت المدارس، حيث ذكر ابن خلكان عندما زار حلب سنة (623هـ/ 1226م) أنها كانت أم البلاد لكثرة العلماء فيها[2]، وذكر النعيمي[3] عند حديثه عن المدارس في بلاد الشام ستاً وستين مدرسة، أنشئت في القرن السابع الهجري للمذاهب الأربعة، منها مدرستان للمالكية، وثمان مدارس للحنابلة وخمس وعشرون مدرسة للحنفية، وواحدة وثلاثون مدرسة للشافعية، كما أورد ذكر ثلاث مدارس أنشئت لدراسة الطب، ولا شك بأن هذا العدد الكبير من المدارس يدل على وجود نهضة ثقافية واضحة في ذلك العصر، حيث أن هذه المدارس قد اشتملت

[1] محمد كرد علي، خطط الشام، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1969م، 195/6.

[2] شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،48/7 .

[3] محي الدين أبو المفاخر عبد القادر بن محمد الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحسني، مطبوعات المجمع العربي، دمشق، مطبعة الترقي، دمشق، دط، 1948م، 2/1.

على دور القرآن الكريم ودور الحديث الشريف، وكانت تعلم الحديث النبوي وعلوم القرآن واللغة والنحو والصرف والبلاغة والعروض والعلوم التاريخية وغير ذلك.

وقد تنوعت مجالات تأليف الكتب في تلك الفترة، فألف في علوم الدين واللغة العربية وعلوم التاريخ والجغرافية وغيرها...في خضم هذا الجو العلمي والازدهار الثقافي، لم يستفد منه ابن معطي، إذ لم يذكر المؤرخون كتاب البديع على الرّغم من رحلته لدمشق ومصر.

كما سافر الأخضري لتونس، ونهل من جامع الزيتونة، فهذه الرحلة أكسبته نضجاً وإدراكاً، بعد احتكاكه بالعلماء، وانعكست على شخصيته وتكوينه العلمي، والمعرفي، ونقل الدكتور محمد لقدي أنّ اطفيش كانت له رحلتان: الرّحلة الحجازيّة الأولى: كانت سنة (1290هـ/1873م)، وفيها مكث عاماً كاملاً مجاوراً للحرم المكيّ، وكان يدرّس ويؤلّف، ويجيب على أسئلة المستفتين، وقد درّس كتاب "السّنوسيّة في العقائد المالكيّة"، وكان يحضر حلقاته علماء أجلّاء من أمثال: أحمد زيني دحلان (ت1304هـ)، صاحب "الفتوحات الإسلاميّة"، ورحمة الله الهنديّ (ت1303هـ)، صاحب كتاب "إظهار الحقّ والمناظرة الكبرى" وغيرهما[1]، وكانت له معهم لقاءات ومناقشات؛ يحضرون حلقته في الحرم المكّيّ ويخدمونه تقديرا للعلم والعلماء، وهناك ألّف لهم أطفيّش كتاب "إيضاح المنطق في بلاد المشرق".

[1] امحمد لقدي، امحمّد بن يوسف أَطْفَيَّش وجهوده البلاغيّة مع تحقيق كتابه: "ربيع البديع"، (أطروحة دكتوراه)، تخصص: تحقيق المخطوطات: جامعة الحاج لخضر- باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 1436 /1437هـ - 2016/2015م، ص34.

وهذه الرّحلة كان لها الفضل في توسيع رواية الحديث ونشر السّنة في هذه المناطق النّائية من الوطن الجزائريّ.

والرّحلة الحجازيّة الثّانية: وقعت هذه الرّحلة سنة (1303هـ/1886م)، وقد خلّدها في القصيدة الحجازيّة التي مطلعها:

هجرنا مساقط الرّؤوس وما نرى ** سوى الحجّ إنّ الحجّ قد حان أن يرى

وغيــر اعتمــار والزّيــارة للنّـبي ** عليه الصّلاة والسّلام زها الثّرى

وتتميّز هذه الرّحلة بالدّروس الّتي ألقاها في الرّوضة الشّريفة بالمدينة المنوّرة، في تفسير خواتم سورة البقرة أمام جمع من علماء المدينة المنوّرة، ومع ذلك لم يؤثر عنه في رحلاته اهتمامة بالدرس اللغوي عموماً، والبلاغي خصوصاً.

## الخاتمة:

حاولت هذه الدراسة معاينة أهم منجزات وإسهامات علماء الجزائر في البديع البلاغي، وقد تبيّن لنا من خلال الدراسة أنّها حاولت أن تؤسس لنفسها مدرسة خاصة هيمن عليها الاتجاه التعليمي والتربوي، وعلى الرغم مِن الجهود المبذولة مِن أجل مقاربة وخدمة هذا التراث الجزائري، إلا أنّنا ينبغي أن نعترف أنَّ ثمَّة تساؤلاتٍ بشأنِه تنتظرُ إجاباتٍ، لعلَّ أولها تلك التي تتصل بحراكه التاريخي واستنطاق دلالات سياقاته وحراكه اليوم؛ إذ نحن أحوج اليوم إلى قراءة هذا التراث قراءة واعية واستقرائه استقراء وافيا، واستبانة وجوهه المتنوعة، وأن ترسم صورة

واضحة المعالم لهذا التراث، تبين أعراضه وأغراضه، مع ضرورة جدولة علمية واعية للمصنفات والمدونات الجزائرية.

**وقد توصلنا في ختام هذا المقال إلى النتائج التالية:**

– ضرورة تبئير مشروع جزائري حضاري يطمح لتجديد التراث عموماً، وتعميق المعرفة بالتراث البلاغي عبر أسئلة وإشكالات، وإخراجه للنور يعيد الاعتبار لتراثنا، وواقعنا، وذواتنا، في محيط متسارع تذوب فيه جميع الخصوصيات.

– لا شك أنّ علماء الجزائر قدّموا في الدراسات البلاغية جهوداً لافتةً في رصد الفنون البديعية عبر مصنفات متعددة، كما سعوا لبيان قيمتها الجمالية في منظومات، وأسهموا في ثراء مباحثها الاصطلاحية.

– لابد من الإفادة مِن هذا التراث وإخراجه، بالتنقيب والتحقيق والدراسة والاستدعاء، والتوظيف، والاستثمار.

– إسهام علماء الجزائر في الدرس البلاغي كان حاضراً بشكل قوي، حيث أسهموا في تأصيل الخطاب البلاغي العربي، وتثبيت أصوله وإرساء قواعده، وإغناء المكتبة البلاغية بمصطلحات البديع .

– لاحظت أنَّ جلَّ من ترجموا لابن معطي وتحدثوا عن تاريخ حياته، لم يعرجوا على ذكر كتاب "البديع من علم البديع".

– أسهم علماء الجزائر في الانتقال من إشكالية الإغراق في التنظير التي تعاني منه الدراسات العربية، إلى مرحلة التطبيق والتحليل، وهي العملية التي نحتاجها، ونحن بأمس الحاجة إليها، كلٌّ ذلك من شأنه أن يؤسس لرؤية نقدية تغني التحليل، وتؤسس لمكاشفة علمية فعلية للبلاغة، فكلا الجانبين ضروري ومهم في الممارسة البلاغية؛ لأنّه لا يمكن الحديث عن التنظير لأية نظرية بمعزل عن الإنجاز الذي يشكل الإطار المرجعي لها، لأنّ العلاقة بين التنظير والتطبيق علاقة تكاملية.

– لاحظنا حضور المنهج التربوي، والتعليمي، والتوجيهي التهذيبي في مدوناتهم.

**التوصيات:**

– ندعو لضرورة التفاعل الإيجابي مع التراث اللغوي الجزائري عموماً، ولاسيما في مجال البلاغة؛ لذلك توصي هذه الدراسة الأقلام الجادة بأخذ مباحثه أخذ تنوير وتحرير، وتحقيق، لا تمريق وتنميق وتكرير.

– الانتقال من مرحلة تصنيف واستعراض المنجزات، إلى مرحلة التأسيس، لذلك توصي الدراسة الهيئات والمؤسسات، والجامعات، ودور النشر أن يشتركوا جميعاً في إحياء هذا المشروع، وتقوم على نشر وإحياء تراثنا الثري، وانتشاله من الضياع... ونودّ أن تتبنى هذا المشروع الهام وزراةُ التعليم العالي والبحث العلمي، عبر مشاريع ومساقات التعليم فيما بعد التدرج.

## قائمة المراجع:

1- ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

2- ابن حجر العسقلاني، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير، الرياض، ط1، 1422هـ.

3- ابن خلدون، المقدمة، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط2، 1416هـ/1996م.

4- ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسرية، بيروت، ط2، 1979م.

5- ابن كثير، البداية والنهاية، تح: علي شيري، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.

6- ابن معطي، البديع في علم البديع، تح: محمد مصطفى أبو شوارب، دار الوفاء، دط، 2003م.

7- أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري، الكشف والبيان، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1422هـ/2002م.

8- أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، غريب الحديث، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م.

9- أبو القاسم محمد حفناوي، تعريف الخلف برحال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906م.

10- أبو رشيق القيرواني، العمدة في نحاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، بيروت، ط5، 1401هـ/1981م.

11- أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: تحقيق : هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، دط، 1423 هـ/ 2003م.

12- أبو عثمان بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط1، 1968م.

13- أبو عثمان بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1416هـ/1996م.

14- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق:علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 1406هـ-1986م.

15- أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: يوسف علي الطويل، دار الفكر، دمشق، ط1، 1987م.

16- امحمد لقدي، امحمّد بن يوسف أَطْفَيَّش وجهوده البلاغيّة مع تحقيق كتابه: "ربيع البديع"، (أطروحة دكتوراه)، تخصص: تحقيق المخطوطات: جامعة الحاج لخضر- باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 1436 /1437هـ - 2016/2015م.

17- البغوي، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط4، 1417هـ/1997م.

18- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1407هـ/1987م.

19- جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت.

20- جلال الدين السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق وتعليق: أحمد عمر هاشم ، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، دت.

21- الخطيب التبريزي، الوافي في العروض والقوافي، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق، ط4، 1986م.

22- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق:الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، 1419هـ 1998م.

23- خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات الاختلاف، الجزائر- منشورات ضفاف، بيروت، ط2، 1436هـ/2015م.

24- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.

25- السخاوي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، شرح ألفاظه وخرج أحاديثه وعلق عليه: صلاح محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1414هـ/1993م.

26- شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دط، دت.

27- شمس الدين بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

28- شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط9، 1413هـ.

29- شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2004م.

30- صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، دط، 1420هـ- 2000م.

31- ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995م.

32- عادل نويهض، مُعجَمُ أعلام الجزائِر مِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1400هـ/1980م.

33- عباس ارحيلة، مقدمة الكتاب في التراث الإسلامي وهاجس الإبداع، المطبعة والوراقة الوطنية، ط 1، 2003م.

34- عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، آثَارُ ابْن بَادِيسَ، تح: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط1، 1388هـ - 1968م.

35- عبد الرحمان بن صغير الأخضري، الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، تحقيق: محمد بن عبد العزيز نصيف، مركز البصائر للبحث العلمي.

36- عبد الرؤوف المناوي، اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، تحقيق: المرتضي الزين أحمد، مكتبة الرشد، الرياض، 1999م.

37- علي القاري، شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، تحقيق: عبد الفتح أبو غدة، حققه وعلق عليه: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم، بيروت.

38- عمر بن رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت.

39- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربى، بيروت، دط، دت.

40- الكافيجي، التيسير في قواعد علم التفسير، دراسة وتحقيق: ناص محمد المطرودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1410هـ/1990م.

41- محمد أمين بن عمر بن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ/1992م.

42- محمد بن عبد الهادي السندي المدني، حاشية السندى على صحيح البخارى: دار الفكر، بيروت.

43- محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف: تحقيق : محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1410هـ.

44- محمد كرد علي، خطط الشام، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1969م.

45- محي الدين أبو المفاخر عبد القادر بن محمد الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: جعفر الحسني، مطبوعات المجمع العربي، دمشق، مطبعة الترقي، دمشق، دط، 1948م.

46- هيثم هلال، معجم مصطلح الأصول: مراجعة وتوثيق: محمد ألتونجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م.

47- يحيى بن شرف النووي، الأذكار النووية، دار الفكر، بيروت، 1414هـ/1994م.